مجلة المعارف للبحوث و الدراسات التاريخية
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/111
ISSN: 2437-0584/ EISSN: 2437-0584
المجلد السابع ،العدد الرابع ،ماي ،2022 ص – ص205-232

مرتكزات المشروع الصهيوني وردود الفعل الفلسطينية خلال القرن 20م.

Pillars of the Zionist project and Palestinian reactions During the 20th century AD

د/فاتح باهي (*)
جامعة الشهيد حمه لخضر الوادي ، bahi-fateh@univ-eloued.dz

تاريخ الاستلام: 15 /2021/12 تاريخ القبول: 04 /2021/04 تاريخ النشر: 11 /2022/05

الملخص: نستعرض من خلال هذا المقال أهم المشاريع التي نفّذتها الحركة الصهيونية بعد تأسيسها نهاية القرن 19 الميلادي، في سبيل السيطرة على أرض فلسطين واحتلالها لإقامة الكيان الصهيوني مكانها، وطرد الشعب الفلسطيني صاحب الأرض، حيث كانت الهجرات اليهودية أهم المشاريع الصهيونية، سواء كانت الهجرة المنظمة أم الهجرة الغير المنظمة، عبر فترات زمنية وبتخطيط صهيوني بريطاني واضح عن طريق الدعم المادي والمعنوي، للحركة الصهيونية لكي تحقّق أهدافها المسطرة، حيث كان وعد بلفور دعماً بريطانيا واضحا للحركة الصهيونية ، لما تتمتع به بريطانيا من مكانة هامة لدى الدول الغربية في تلك الحقبة الزمنية، وهي بداية القرن العشرين، ثم تلى ذلك من المشاريع الصهيونية الأخرى مثل: الاستحواذ على الأراضي الزراعية الخصبة في فلسطين بشتى الطرق، وتأسيس الأذرع المالية والعسكرية بالتدريج على أرض فلسطين، واستغلال الظروف الإقليمية والدولية لصالح تنفيذ تلك المشاريع ، التي هي بمثابة المرتكزات التي عوّل عليها الصهاينة للوصول إلى مبتغاهم في الأخير، وإقامة الكيان الغاصب على أرض فلسطين وسط صمت دولي رهيب .

الكلمات الدالة: الهجرة اليهودية ؛ وعد بلفور؛ احتلال فلسطين؛ الكيان الصهيوني؛المشاريع الصهيونية.

Abstrac: Through this article, we review the most important projects implemented by the Zionist movement after its founding at the end of the 19th century AD,
in order to take control of the land of Palestine and its occupation to establish the Zionist entity in its place, and the expulsion of the Palestinian people from their land.
Jewish immigration was the most important of Zionist projects, whether it was organized immigration or unorganized immigration. Across periods and with clear British Zionist collaboration through material and moral support to the Zionist movement in order to achieve its stated

* المؤلف المرسل.

goals.
Where the Balfour Declaration had clear British support for the Zionist movement, Britain which enjoyed an important place among Western countries at this time, and this was the beginning of the twentieth century, then it was followed by other Zionist projects such as:
Acquisition of fertile agricultural land in Palestine by various means, and gradually establishing financial and military groups in the land of Palestine, and exploitation of regional and international circumstances in favor of the implementation of these projects et exploitation of regional and international circumstances in favor of the implementation of these projects, which serve as the foundations upon which the Zionists lean to achieve their ultimate goal, and the establishment of the usurping entity on the land of Palestine amid a terrible international silence.

Keywords: Jewish immigration ; Balfour declaration ; occupation of Palestine ; Zionist entity ; Zionist projects.

1. مقدمة:

منذ بداية التواجد الصهيوني في فلسطين والشعب الفلسطيني يعيش تحت ضغط كبير، وخوفٍ من ضياع الأرض خاصة مع هشاشة الظروف الداخلية والإقليمية، وحالة الانقسام التي كان يعيشها العالم العربي والاسلامي في تلك الفترة بعد سقوط الخلافة العثمانية، فقد سيطر على أرض فلسطين غرباء، جاؤوا من بلاد عديدة لا وطن لهم، ليسوا سواحا عابرين، بل هم عبارة عن مهاجرين يحملون مشروع سياسي عسكري خطير يقوم على احتلال الأرض وطرد السكان الأصليين، والتعدّي على المقدسات وطمس هوية الشعب الفلسطيني وتزييف الحقائق التاريخية.

وزاد من خطورة هذا المشروع، مجموعة من العوامل المهمة مثل: الدعوة إلى تجميع الصهاينة في مؤتمرات وتجمعات، قصد وضع التصورات والأفكار والمخططات، والتي كان بدايتها انعقاد المؤتمر الصهيوني الأول[1] في "بازل" السويسرية، وإعلان المشروع الصهيوني ومرتكزاته، وكذلك ضعف الدولة العثمانية بعد تغلل الحركة الصهيونية في أجهزتها، وخاصة بعد الانقلاب الدستوري سنة 1908م، و دخول البريطانيين لأرض فلسطين سنة 1917م [2].

وكانت هذه العوامل كافية لوضع الشعب الفلسطيني في موقف المترقب والمتأهب للمراحل الصعبة التي فرضتها العوامل السابقة، وبروز فكر المقاومة ومواجهة الدخيل الصهيوني الغاصب للمنطقة.

فما هي المرتكزات التي قام عليها المشروع الصهيوني في فلسطين؟ وكيف استطاعت الحركة الصهيونية احتلال فلسطين؟ وما هي ردود فعل الفلسطينيين تجاه هذا الوضع الجديد ؟؟

الخطة المتبعة: اعتمدنا على عنصرين أساسين تندرج تحتهما عناصر فرعية:

أولا –المرتكزات الصهيونية، ويندرج تحتها: الهجرة اليهودية، ثمّ موجات الهجرة إلى فلسطين. ووعد بلفور –الاستيطان ثانيا: ردود الفعل الفلسطينية، وتطرقنا ضمن هذا العنصر إلى: المقاومة بنوعيها: العسكري والسلمي، والمقاومة الإعلامية، وتأسيس الأحزاب السياسية.

1.مرتكزات المشروع الصهيوني في فلسطين:

1.1 الهجرة اليهودية:

تعتبر هجرة اليهود إلى فلسطين والاستيطان فيها المرتكز الأساسي للحركة الصهيونية لإقامة الكيان الصهيوني، فقد طالب زعيمهم هرتزل بترحيل العرب عن دولة اليهود المزمع إقامتها وطردهم عبر الحدود وحرمانهم من العمل ورفع شعار: فلسطين وطن بلا شعب لشعب بلا وطن، وذلك لاقتلاع الشعب العربي الفلسطيني من وطنه وتوطين اليهود فيه، ووضع المؤتمر الصهيوني الأول الخطوات التالية لتحقيق أهدافه:

– توطين المزارعين والعمال الحرفيين اليهود في فلسطين بإنشاء المستوطنات فيها.

– تقوية العاطفة القومية والوعي القومي اليهودي وتنظيمهما، وتنمية الوعي الديني لدى اليهود.

– تنظيم اليهودية العالمية وتوحيدها في منظمات محلية واقليمية.

وعليه أصبحت الهجرة اليهودية وترحيل العرب المنطلق الأول في الفكر والممارسة الصهيونية لتحقيق دولتهم على أرض فلسطين، عن طريق تنفيذ جملة من المخططات[3].

واحتلّت مسألة الهجرة حيّزاً مهما في فكر الهيئات الصهيونية، حيث استخدمت الحركة الصهيونية منذ البداية كل أساليب الترغيب والضغط لحمل اليهود على الهجرة إلى فلسطين،

فروّجت لأكذوبة "أبدية العداء للسامية"، وحاربت أيَّ اتجاه يدعو لاندماج اليهود في المجتمعات التي يعيشون فيها، ووجدت في حركات اضطهاد اليهود عوناً لها على تحقيق برامجها، وتعاونت في ذلك مع الحركات العنصرية بما فيها النازية[4].

2. موجات الهجرة اليهودية إلى فلسطين:

لقد تركّز وجود اليهود في المدن التي ترتبط بذكريات دينية لديهم، مثل القدس، طبرية، صفد، الخليل، ولم يكن لهم أي أغراض سياسية ظاهرة حتى بداية الربع الأخير من القرن التاسع عشر، وقد اعتمدت حياتهم على المساعدات التي تأتيهم من بلدانهم الأصلية، حيث يرجع معظمهم إلى أصول السفارديم[5] ، ولم يسجّل أيّ وجود ليهود الاشكناز[6] خلال تلك الفترة[7] .

وكان من أهداف إقامة الكيان اليهودي هو تثبيت دولة لليهود المقيمين في فلسطين، ولكلّ يهودي في العالم الحق في المجيء إلى تلك الأرض والإقامة فيها، وخُصصت لكلّ مهاجر جديد مساعدات وتسهيلات مثل حق العمل والتملك، وحُدّدت أهداف هذا الكيان في إعلان الاستقلال والذي جاء فيه:" دولة إسرائيل ستكون مفتوحة أمام الهجرة اليهودية ولجمع الشتات وستعمل على تطوير البلاد لصالح كافة سكانها" وفي البند الأول من قانون العودة لسنة 1950م جاء فيه: " يحق لكل يهودي أن يهاجر إلى إسرائيل وأن يستقر بها "

وقدّرت الإحصاءات عدد اليهود في فلسطين عام 1800م بـ عشرة آلاف يهودي، ومجمل نسبة اليهود في فلسطين قبل عام 1882 م لم تتجاوز 0.3% من مجموع يهود العالم .

نخلص مما سبق: إلى أنّ الغالبية العظمى من اليهود في فلسطين الآن هم من المهاجرين أو أبناء المهاجرين الذين ولدوا فيها بعد هجرتهم واغتصابهم أرض فلسطين، كما أنّ نسبة اليهود في فلسطين ارتفعت خلال 112 عام إلى 110 أضعاف تقريبا.

3.التطور التاريخي للهجرة اليهودية:

– فترة (1881 – 1903):

بدأت الهجرة اليهودية إلى فلسطين سنة 1881م، وكانت شديدة العنصرية وضعيفة التنظيم، وجاءت، تلك الهجرة، بعد اغتيال قيصر روسيا اسكندر الثاني في مارس 1881م،

وأطلق على هذه الحركة: اسم "هواة صهيون" أو "أحباء صهيون" ومن نتائجها إنشاء المستوطنات اليهودية الأولى... ، وفي هذه الفترة وصل أربعون ألف مهاجر يهودي إلى فلسطين[8] .

وتجدر الإشارة إلى أنّ المهاجرين واجهوا صعوبات في مستوطناتهم، خاصة جهلهم بالعمل الزراعي، ونقص المياه وانتشار الأوبئة، وعجزوا عن حلّ مشاكلهم لولا تدخل البارون روتشيلد الذي وضع مشروعا كاملًا، وخّصص لهم مبالغ مالية وعددٌ من الموظّفين لمساعدتهم على تخطّي أزمتهم، أما المستوطنات الجديدة التي أُقِيمت هي: تل حاي وكفار غلعادي بالقرب من المطلّة في شمالي فلسطين، وكفار تابور بالقرب من جبل الطور في الجليل الشرقي...[9]

- **فترة (1904 – 1914):**

دخل فلسطين خلال السنوات 1904م- 1914م، ضمن موجة الهجرة الصهيونية الثانية، نحو 35إلى 40 ألف مهاجر يهودي، ووضعت الهجرة الثانية أسس الكيان الصهيوني في فلسطين، والتي قامت عليها الدولة العبرية فيما بعد، حيث خرج من أبناء هذه الهجرة، عدد من الزعماء ، في مختلف مجالات العمل الصهيوني، لعبوا أدواراً مهمة في تاريخ الصهيونية في فلسطين أو خارجها .

ومع نهاية موجة هذه الهجرة بسبب قيام الحرب العالمية الأولى عام 1914م، وصل عدد الصهاينة في فلسطين حسب تقديرات المصادر الصهيونية إلى حوالي 85 ألف يهودي، وأصبح لديهم حوالي 44 مستوطنة زراعية ، وقد توقّفت الهجرة الصهيونية إلى فلسطين في سنوات الحرب العالمية الأولى وتوقف النشاط الاستيطاني الصهيوني وتناقص عدد اليهود في فلسطين فبلغ عام 1918م خمس وخمسون ألف بسبب النزوح أثناء الحرب[10] .

- **فترة (1919 – 1923):**

في هذه المرحلة تصاعد نسب المهاجرين، ففي سنة 1920م، كانت النسبة 9%، ثم زادت في سنة 1921م، لتصل 10.6% ، وقد واجهت هذه الموجة خطراً شديداً عام 1923م، حيث أنّ الامتيازات الخاصة التي منحتها الحكومة الانتدابية لمدّ الشوارع وإقامة

المباني العامة قد انتهت، فزادت عملية الهجرة المعاكسة إلى خارج فلسطين، وساد بين المهاجرين شعور بالفشل واليأس، وحاول اليهود إنقاذ الوضع العام عن طريق توزيع أيام العمل بين العمال اليهود بالتساوي، وهذه الخطوة التنظيمية ساعدت نوعاً ما العائلات على البقاء في فلسطين.

- **فترة (1924 – 1928) :**

عادت الهجرة اليهودية إلى التجدّد في أعقاب تحسّن الظروف والأحوال الاقتصادية في فلسطين. فهاجر إلى فلسطين أكثر من سبعين ألف يهودي، بقي منهم اثنان وخمسون ألفاً، أما البقية فعادوا إلى موطنهم الأصلي أو انتقلوا إلى بلاد أخرى، ونصف المهاجرين الذين قدموا في هذه الهجرة كانوا من بولندا والنصف الثاني من روسيا ورومانيا واليمن والعراق، وكان جزءٌ كبير من أبناء هذه الهجرة من الطبقة الوسطى، أيْ رجال الصّناعة والتجارة وأصحاب الحرف والمهن المتنوّعة[11].

- **فترة (1929 – 1939) :**

وصل إلى فلسطين خلال هذه الهجرة ما يقارب 280 ألف مهاجر يهودي، كان غالبيتهم من اليهود المضطهدين من قبل النازية، لهذا أجمعوا أمرهم على الهجرة إلى فلسطين، وبلغ عدد المهاجرين في هذه الفترة ما نسبته 63% من مجموع المهاجرين .

أمّا أسباب ودوافع هذه الهجرة فأهمّها:

-كان أحد عوامل تشجيع الهجرة إلى فلسطين: صعود الحزب النازي إلى سدّة الحكم في المانيا وإعلانه عن رغبته في فرض أنظمة تطهير ضد الشعوب غير الألمانية.

-استمرار ملاحقة واضطهاد اليهود في بعض دول أوروبا الشرقية مثل بولندا، وانتهت هذه الهجرة عملياً مع بداية الحرب العالمية الثانية، وفرض السلطات الانتدابية البريطانية أحكام الطوارئ في كل أنحاء فلسطين[12] .

موجة الهجرة	الفترة	عدد المهاجرين	البلد الأصلي
الأولى	1881-1903	25000	روسيا-بولندا-رومانيا

الثانية	1914-1904	34000	روسيا
الثالثة	1923-1919	35100	بحر البلطيق- بولندا
الرابعة	1928-1924	78898	بولندا- رومانيا
الخامسة	1939-1929	224784	المانيا –أوربا الغربية- بولندا

جدول يوضح موجات الهجرة اليهودية إلى فلسطين بين عامي 1880–1939

وكان من ضمن مرتكزات الصهاينة في فلسطين، الاستيطان، ويمكن تقسيم الاستيطان الصهيوني في فلسطين حتى عام 1948م إلى مراحل تمت في العهد العثماني، وفي عهد الانتداب البريطاني على فلسطين، ومراحل أخرى تمت بعد تأسيس الكيان الإسرائيلي (إسرائيل) في 1948/5/15م، وما تزال مستمرة حتى الآن، ويمكن إجمالها في المراحل التالية

المرحلة الأولى:

مرحلة الدولة العثمانية، وتحديداً منذ انعقاد مؤتمر لندن عام 1840م، بعد هزيمة مُحَمَّد علي، واستمرت حتى عام 1882م. إلا أن مشاريع هذه المرحلة لم تلق النجاح المطلوب بسبب عزوف اليهود أنفسهم عن الهجرة إلى فلسطين، والتوجه إلى الولايات المتحدة الأمريكية أو الانخراط في مجتمعاتهم، ومن أبرز نشطاء هذه المرحلة اللورد شافتسبوري، واللورد بالمرستون، ومونتفيوري واستمرت هذه المرحلة حتى بداية الانتداب البريطاني على فلسطين عام 1920م. ثمّ مرحلة الانتداب البريطاني على فلسطين وحتى قيام إسرائيل، وفي هذه المرحلة بدأ الاستيطان الفعلي في فلسطين، حيث تم تكثيف عمليات استملاك اليهود للأراضي الفلسطينية، وتدفق الهجرة اليهودية، حيث شهدت هذه المرحلة الموجات الثالثة والرابعة والخامسة من الهجرات اليهودية، أمّا مرحلة قيام الكيان الصهيوني وحتى عام1967م، فيها تمكنت فيها إسرائيل من الاستيلاء على الأراضي الفلسطينية، والاستمرار في مصادرة الأراضي وإقامة المستوطنات لاستقبال المهاجرين الجدد باستمرار، ثمّ مرحلة التسوية السياسية وتوقيع اتفاق أوسلو عام 1993م، حيث تسارعت حركة الاستيطان في الأراضي الفلسطينية، واستمرت أعمال توسعة

المستوطنات، و وصولاً إلى إقامة جدار الفصل العنصري، الذي سيطرت من خلاله إسرائيل على أكثر من ثلث مساحة الضفة الغربية[13]

4. ردود الفعل الفلسطينية لمشاريع التهجير:.

1. 4. ظهور فكر المقاومة:

كان تطور الحياة السياسية في مصر، وبروز نشاط الأحزاب والصحافة قد ساعد على التعريف بالخطر الصهيوني؛ ولذلك فإن عرب فلسطين وهم يسمعون بالاستعدادات لقيام المؤتمر، كانوا يبحثون سُبُل درء الخطر.

والتقى – ضمن هذا الإطار–متصرِّف القدس مع قنصل ألمانيا لبحث "ضرورة وضع حد للخطر الصهيوني على فلسطين[14] وَتَرَأَّس في العام نفسه مفتي القدس مُحَمَّد طاهر الحسيني هيئة مكلفة من السلطة بالتدقيق في نقل الملكية، حتى لا يتمكن المهاجرون الصهاينة من الحصول على أراضٍ جديدة.

بدأ الرد العربي على الأوضاع الجديدة في فلسطين والوطن العربي سنة 1898م، ففي هذا العام وقف "أهل فلسطين موقفًا حازمًا ضد المشاريع الصهيونية والهجرة اليهودية، و قيام (إسرائيل) في بلادهم؛ لأنهم اعتبروا ذلك خطرًا على حقوقهم وامتيازاتهم..."[15] .

ولم تلبث سنة 1900م أن شهدت حملة عرائض واسعة النطاق ضد بيع الأراضي للمهاجرين الصهاينة، وارتفع صوت نجيب عازوري[16] سنة 1905م محذرًا من الخطر الصهيوني، حيث ورد في كتابه "يقظة الأمة العربية": "هناك حادِثان هامَّان من طبيعة واحدة، ولكنهما متناقضان، وهما يقظة الأمة العربية، والجهد اليهودي الخفي لإنشاء مُلْك إسرائيل القديم من جديد، وعلى مقياس أوسع إنّ مصير هاتين الحركتين هو الصراع المستمر إلى أن تَغْلُب إحداهما الأخرى، ومصير العالم كله منوط بالنتيجة النهائية لهذا الصراع بين الشعبين اللذين يمثلان مبدأين متعارضين".

وتلا جملة الأحداث السابقة والمشاريع الصهيونية صدور القرار الذي اتخذه المؤتمر الصهيوني سنة 1907م بمباشرة "النشاط الاستعماري العملي في فلسطين على أوسع نطاق". وأعلن

ماكس نوردو[17] في المؤتمر: ''نحن ننوي الذهاب إلى فلسطين بمثابة الحَمَلَة المعتمدين للمدنية والتحضر، ورسالتنا هي توسيع الحدود الأخلاقية (الأدبية) لأوروبا حتى تصل إلى الفرات''، ثم أضاف نوردو أن ''فلسطين تحوي كثافة سكانية ضئيلة؛ مما يؤهلها لاستيعاب الملايين من المستوطنين المتحمسين للعمل''، والذين ''لا يمكنهم الانتعاش إلا هناك دون سائر الأمكنة[18].

وبعدها أنشئ سنة 1908م مكتب فلسطين في يافا وكانت مهمته شراء الأراضي في فلسطين، وفي هذا العام نفسه ''بدأت عملية بناء الأحياء اليهودية قرب يافا''، وهي التي أصبحت تل أبيب فيما بعد. وأنشأت الحركة الصهيونية مؤسسات أخرى كشركة ''أنكلو ليفانتين'' المصرفية في الآستانة، وشركة تطوير الأراضي الفلسطينية والصندوق الثقافي اليهودي... إلخ.

4.2 تنوّع أساليب المقاومة:

اتخذت المقاومة في هذه المرحلة عدة أشكال: كالمقاومة المسلحة، والمقاومة السلمية: وفي هذه الفترة الزمنية لا بد من ذكر ثورة القسام سنة 1936، كردّ فعل على الأوضاع التي أنشأها الوجود البريطاني.

بدأت ثورة 1936 بطريقة شبه عفوية ما لبث أن استقطبت الشعب على نحو غير مسبوق، على أهداف وقف الهجرة اليهودية، ومنع بيع الأراضي واغتيال باعة الأرض والسماسرة والجواسيس والتصدي لمشروع التقسيم الذي كانت بريطانيا تمهد لتنفيذه، وصيانة عروبة فلسطين والحفاظ على أراضيها ومنع تهويدها، وإعلان استقلالها في وحدة عربية شاملة لجأت الثورة إلى الكفاح المسلح أسلوبا، لانتزاع حقوقها من الاستعمار البريطاني، ولم تتوقف إلا عند اندلا ع الحرب العالمية الثانية عام 1939، لأسباب ذاتية، وأسباب تتعلق بالتدخل العربي الرسمي لإنهاء الإضراب، والتحالف الفرنسي البريطاني عشية عام1939[19].

و انطلقت في 20 افريل 1936 وامتدت حتى عام 1939، وهي تتميز عن الثورات التي قامت ما بين 1920 و1933، إذ أن جميع ما عرف بالثورات الفلسطينية قبل ثورة 1936 لم يكن أكثر من هبات أو انتفاضات، أما ثورة 1936 فقد توافرت لها شروط الثورة هدفاً

وأداة وأسلوبا، وهي تمثل محطة بارزة في حركة النضال الوطني الفلسطيني ضد الصهيونية والاستعمار البريطاني منذ أواخر القرن التاسع عشر، فهي نقلة نوعية في توجهات هذا النضال بعد حالة الوهن العام التي اعترت الحركة الوطنية الفلسطينية في أعقاب هبة البراق عام 1929.

– عن طريق الاعلام المكتوب:

وقد لعبت الصحف ورجال الفكر والثقافة دورًا أساسيًّا. وجاء الرد على المؤتمر الصهيوني من الشيخ مُحَمَّد رشيد رضا (1865 – 1935) في القاهرة، وعلى صفحات المنار، وتابعت ذلك الصحف العربية الأخرى[20].

وزاد اهتمام الصحافة بالأمر مع اتضاح الأهداف الصهيونية، ومع قيام الحركة الدستورية سنة 1908م؛ إذ ظهرت في العهد الجديد صحف جديدة، في دمشق وبيروت والقدس ويافا، وكان الجديد في الأمر ظهور عدة صحف في فلسطين. فقد صدرت صحيفة ''الكرمل'' عام 1908م في حيفا لصاحبها نجيب نصَّار، واعتبرت كشف مخاطر الصهيونية هدفها الرئيسي،[21] وقامت صحيفة ''الأصمعي'' بدور مماثل، وما لبثت أن صدرت صحيفتا ''فلسطين'' 1911م و''المنادي'' لتسهما في تبيان مخاطر الصهيونية.

وقد لعبت ''الكرمل'' دورًا مهما، فدعت إلى ''عقد المؤتمرات للبحث عن الطرق المؤدية لتنظيم هيئتكم الاجتماعية، وحفظ كيانكم، وإلا صرتم حكاية تاريخية بعد حين..''، وانتقدت المؤتمر العربي الأول؛ لأنه لم يعالج مسألة الصهيونية، وقد قامت صحيفة ''فلسطين'' بنقد مماثل كما قامت الصحف العربية بحملات مماثلة، وكانت تشدد على ضرورة التنبيه على الخطر الصهيوني[22].

4.3 المقاومة السلمية :

– مطالبة الدولة العثمانية باتخاذ الإجراءات اللازمة لمنع المهاجرين الصهيونيين من التوطن والتملك، وكانت اتصالات القيادة الصهيونية بالدولة العثمانية – وخاصة بعد الحركة الدستورية – تثير مخاوف العرب؛ ولذلك أخذت برقيات الاحتجاج والتنبيه تتوالى على عاصمة السلطنة منذ 1900م. وجاء في مضبطة نشرتها ''الكرمل'' يوم 1913/7/4م وقّعتها غزة والقدس

ويافا احتجاجًا على ما نشرته الصحف من عزم الحكومة على إعطاء 800 دونم لشركة الأصفر: ''كتاب مفتوح إلى أمير المؤمنين وسلطان العثمانيين والصدر الأعظم وناظر الداخلية.. فتغلغل الشركات الصهيونية داخل هذه البلاد طولاً وعرضًا، لا تقلّ نتيجتها في المستقبل عن حرب البلقان[23]

– إنشاء الجمعيات والأحزاب لتعبئة الشعب ضد المخاطر الصهيونية، ولبناء الحياة السياسية والاقتصادية بما يكفل القدرة على المقاومة، فأنشئت سنة 1909م ''منظمة محلية مهمتها الحيلولة دون بيع الأراضي لليهود''[24]، وقامت سنة 1913م جمعية مكافحة الصهيونية في نابلس، وتأسست سنة 1914م الجمعيات التالية في القدس: ''المِعيّة الخيرية الإسلامية'' و''جمعية الإخاء والعفاف''، و''شركة الاقتصاد الفلسطيني – العربي''. و''شركة التجارة الوطنية الاقتصادية''، وكان هدف هذه المؤسسات ''الوقوف في وجه الأخطار الوشيكة التي تهدد أرض الوطن، وإنقاذ البلاد من الدمار'' ونشأت مثل هذه الجمعيات في مدن فلسطين الأخرى، كما نشأت في بيروت والقاهرة والآستانة. وكان هدف ''جمعية مكافحة الصهيونية'' ما يلي:

أ – ''معارضة الصهيونيين بكل الوسائل، سواء بإيقاظ الرأي العام وتوحيد وجهات النظر حول هذه النقطة، ونشر برنامج الجمعية بين كل أوساط الأمة العربية عامة، وفي سورية وفلسطين خاصة''.

ب – ''تأسيس فروع وجمعيات في كل مدن سوريا وفلسطين من أجل هذا الغرض وحده''.

جـ– ''السعي لنشر الوحدة بين كل العناصر التي تتكون منها الأمة العربية''.

د – ''تقديم مساعدات في الشؤون الاقتصادية والتجارية والزراعية، وتطوير المزارعين والفلاحين من أجل أن يكونوا قادرين على إنقاذ أنفسهم من أيدي الصهيونيين.

هـ– ''إرسال ممثلين إلى كل ذوي العلاقة في هذه المسألة لوقف جدول الهجرة الصهيونية''.

وإذا كان هذا هو البرنامج الرسمي للجمعية، فإن ''الإرهاب ضد المستوطنين اليهود في فلسطين جرى التفكير به في السر''[25]

وتأسست في هذ الفترة عدّة أحزاب في فلسطين منها: أ- الحزب العربي الفلسطيني الذي تأسس في 27 مارس 1935م، من طرف : جمال الحسيني، قاسم آغا النمر، حسن أبو السعود، فريد العنبتاوي، الشيخ مُحَمَّد الخطيب، الحاج موسى الصوراني، عبد الله سمارة، يوسف العلمي.

وجاء تأسيسه نظراً للحالة التي وصلت إليها الحياة السياسية في فلسطين عام 1935م، وخاصة عدم قدرة اللجنة التنفيذية على القيام بمهامها تجاه القضايا الوطنية، لذلك بدأت بعض الرموز الوطنية بالعمل على تأليف مثل هذه الأحزاب، ونتيجة لنشأة حزب الدفاع الوطني على يد آل النشاشيبي وجد آل الحسيني أنفسهم في وضع يحتم عليهم تأسيس حزب خاص بهم مؤلف من أعضاء متجانسين في الفكرة والاتجاه عقد اجتماع في فندق الأوقاف يوم 27 مارس1935م بحضور ألف وخمسمائة من زعماء ومحاميين وأطباء وعلماء ورؤساء الشيوخ والعشائر وكبار التجار، وأعلن في المؤتمر انتخاب جمال الحسيني رئيساً مؤقتاً للمؤتمر، حيث أعلن عن تأسيس "الحزب العربي الفلسطيني"[26]

ب-حزب النشاشيبي" الذي تأسّس في شهر ديسمبر 1934م، عن طريق: راغب النشاشيبي، أسعد الشقيري، سليمان طوقان، عاصم السعيد، عمر البيطار، يعقوب خراج، فخري النشاشيبي، وكان تأسيسه بعد فشل راغب النشاشيبي في انتخابات البلديات عام 1934م، ونجاح حسين الخالدي في رئاسة بلدية القدس، حصلت مشاورات واتصالات بين أطراف المعارضة، تألفت على أثرها لجنة تحضيرية لتأليف حزب الدفاع الوطني الذي أعلن عنه رسمياً في "سينما أبولو" في يافا في الثاني من كانون أول 1934م. وكان من الأسباب التي دفعت إلى تأسيس هذا الحزب ما يلي:

-ضعف الحركة الوطنية السياسية وغياب العمل الحزبي المنظم والنهضة بالبلاد .

-إعادة الثقة بين الشعب والقيادات الوطنية .

-اندلا ع المظاهرات والاضطرابات في كافة المدن والقرى الفلسطينية عام 1933م .

- الشعور الذي ساد في تلك الفترة بضرورة قيام تنظيمات سياسية جديدة.

ج–حزب الاستقلال العربي في فلسطين:

بخلاف نشأة الأحزاب السياسية الفلسطينية في مرحلة الثلاثينات، بدوافع وعوامل لم تكن بالضرورة وطنية أو أيديولوجية ، إلا أن جذور النشأة لحزب الاستقلال العربي في فلسطين كانت مغايرة بصورة واضحة ، وقد بدا ذلك من خلال السياق التاريخي لتأسيس الحزب الذي يعود إلى العام 1919 في العاصمة السورية دمشق ، من قبل من أطلق عليهم (عصبة الاستقلاليين) من سوريين ولبنانيين وفلسطينيين وعراقيين، تشير الوقائع التاريخية إلى مبادرة الشخصيات المؤسسة للحزب بدعوة شخصيات قومية حضرت المؤتمر الإسلامي المنعقد في مدينة القدس عام 1931 ، إلى منزل عوني عبد الهادي أحد المؤسسين بتاريخ 13/ديسمبر/1931، وبحث المجتمعون أوضاع الأمة العربية ، وظروف الشعب العربي في مختلف البلدان والأقطار، وتوج المجتمعون محادثاتهم بإصدارهم "ميثاقا قوميا يؤمن بالوحدة ولا يعترف بالتجزئة، ويرفض الاستعمار ويقاومه، وقد وقع الحاضرون وعددهم خمسة وخمسون شخصية على بنود هذا الميثاق[27]

وكان أبرز رجال هذه العصبة: رشيد طليع، أحمد مريود، الأمير عادل أرسلان، فؤاد سليم، أحمد حلمي عبد الباقي، نبيه العظمة، سامي السراج، سعيد عمون، عادل العظمة، خير الدين الزركلي، عثمان قاسم ، وقد التف حول هؤلاء بعض من أهل الأردن ، "حيث تمكنت هذه العصبة من إنشاء أول حكومة عربية أردنية على رأسها رشيد طليع ، لكنها لم تمكث سوى بضعة أشهر ، حيث تفرق الرجال وانطفأ الأمل سريعا في أن تكون عمان خليفة لدمشق

4.4 خوض المعركة ضد الصهيونية:

وذلك عبر مجلس ‘‘المبعوثان’’، وقد اعتبر النواب المنتخبون عن مدن فلسطين هذا برنامجهم كما يظهر من محاضر مجلس ‘‘المبعوثان’’. ويبرز هنا أسماء روحي الخالدي، وسعيد الحسيني[28] وكان النواب يخوضون المعركة الانتخابية على هذا الأساس، وأَسْهَم في ذلك نواب عرب آخرون وعلى رأسهم الشهيد شكري العساي– نائب دمشق –. ولقد أجبر النواب العرب في مجلس

المبعوثان؛ رئيس الوزراء على أن يعلن ''أنه لن يسمح لليهود باستيطان فلسطين''، كما أجبروا وزير الداخلية سنة 1911م ''على أن يعلن معارضته للأهداف الصهيونية''[29]

5.4 – القيام بنشاطات متعددة الأشكال لمواجهة النشاط الصهيوني:

وكان من ذلك:

– مهاجمة المستعمرات، وسرقة المواشي، وقطع الأغْرَاس، وإفلات المواشي على الحقول، وتهديم الأسوار.. لأن السكان العرب ''اعتبروا اليهود أَلَدَّ أعدائهم''[30].

وكانت هذه العمليات عمليات انتقامية يقوم بها الذين طُرِدُوا من أراضيهم، والفلاحون الساخطون الذين رأوا قيام قلاع تأسيسية للدولة الصهيونية بين ظَهْرَانيهم. وتزايدت النقمة الشعبية مع بداية الحرب بسبب تزايد النشاط الصهيوني، والتنازلات التي قدّمتها السلطات المركزية في الآستانة، وقاد ذلك إلى تزايد قتل المستوطنين، وانتشار عمليات القتل من الشمال إلى الأجزاء الأخرى.

– القيام بتظاهرات شعبية مختلفة، وتوزيع نشرات معادية للصهيونية. وكانت محاكمات الصحف التي أوقفت بسبب مهاجمة الصهيونيين تتحول إلى شبه مظاهرات وطنية[31].

جـ- إنشاء أحزاب مثل الحزب الوطني العثماني سنة 1911م، وتشكيل جمعيات ولجان ذات طبيعة خاصة، كلجان منع بيع الأراضي، ولجان الإشراف على الموانئ، لضمان تطبيق القوانين الخاصة بالدخول[32].

وهكذا نرى أن حركة المقاومة كانت واسعة، وأنها تعددت في أشكالها وشملت ميادين مختلفة، من الصحافة إلى الغارات، ومع ذلك فإنها كانت خلال هذه المرحلة كلها لا تزال مقاومة شبه عفوية، وخاصة في ميدان المقاومة المسلحة. ولم تستطع هذه المقاومة أن توقف مدّ الهجرة، وأن تُظْهِر للحركة الصهيونية، وللصهيوني المهاجر أن تكلفة بناء مستوطنات في فلسطين عالية، وأن مواصلة الهجرة غير ممكنة.

5. وَعْد بلفور[33] :

تبدأ هذه المرحلة باحتلال القوات البريطانية للقدس وإعلان وعد بلفور، وقد جاءا متزامنيْن تقريبًا، وكانت فلسطين التي عاشت ظروف الحرب القاسية مُرْهَقَة، وكان إعلان الثورة العربية وهزيمة الجيوش العثمانية يعطي نوعًا من الأمل.

وكان همُّ الصهاينة الأكبر هو الحصول على وثيقة دولية ينطلق منها اليهود نحو تأسيس دولتهم في ظل القانون، لذلك اجتهد الصهاينة في الحصول عل صكّ دولي يركزون عليه حقهم التاريخي على أرض فلسطين العربية، وهنا لعب حاييم وايزمان[34] دوراً حاسما في هذا الصدد سجلته له الحركة الصهيونية ...[35]

وكان شعور الفلسطينيين واضحًا، حتى إن تقارير الخبراء العسكريين والسياسيين البريطانيين عكست ذلك من اللحظات الأولى، وكان أول التقارير يقول: ''إن نبأ تصريح بلفور فيما يتعلق بفلسطين، جديد على القدس، وقد أحدث قدرًا غير ضئيل من المخاوف''.

وأشار تقرير آخر كُتِب في الأسبوع نفسه إلى توتر العلاقات بين العرب واليهود، وإلى شعور متبادل بالعداء، ويذكر التقرير أن هذا الشعور ازداد حدّة في الآونة الأخيرة ''بسبب تصريح بلفور''، وإلى أن ''الاحتكاك بكلمة مختصرة ليس ببعيد''.

وهكذا وبكل بساطة تقرّر مصير فلسطين بجرّة قلم وُقِّعت في لندن، حيث تقرّر بها مصير شعوب المشرق العربي لأحقاب عديدة، بفعل هذه الصفقة التي عقدتها الصهيونية العالمية مع الاستعمار الانجلو أمريكي ، صفقةٌ خرج منها كل الأطراف المعنيّون بها بعد اتمامها، في حين دفع الثمن كافة العرب.[36]

6.ردود الفعل تجاه وعد بلفور:

أخذ النشاط العربي المضاد في فلسطين يتطور، واتخذ بعد صدور وعد بلفور الأساليب والأشكال التالية:

1.6 المؤتمرات:

عقدت القيادات والوجهاء خلال هذه المرحلة (1919 – 1929) سبعة مؤتمرات، الأول في القدس – مارس 1919م، والثاني في يافا فبراير 1920م، وقد مُنِع بالقوة، والثالث في

حيفا مارس 1921م، والرابع في القدس يونيو 1921م، والخامس في نابلس أغسطس 1922م، والسادس في يافا أكتوبر 1925م. والسابع في القدس يوليو 1928م، وكان هدف هذه المؤتمرات تعبئة الشعب لمقاومة المشروع الصهيوني والتأكيد على الاستقلال ضمن الوحدة العربية، وكان كل مؤتمر يؤكّد على التمسك بالميثاق الذي ينص على استمرار الجهود الرامية إلى استقلال البلاد وتحقيق الوحدة العربية بجميع الوسائل المشروعة وعدم القبول بإقامة وطن قومي يهودي أو هجرة يهودية[37].

2.6 المظاهرات:

تفجرت المظاهرات في موسم النبي موسى في القدس بتاريخ 1920/4/4م، واستمرت أربعة أيام، وتحولت إلى اشتباكات سنة 1921 و1923 و1924، وظلت المظاهرات والاشتباكات تتوالى حتى انفجر الوضع سنة 1929م، وكان الصهاينة سنة 1928م قد قاموا باحتفالات غير عادية عند حائط المبْكَى، وجاء الرد العربي بإنشاء "جمعية حراسة المسجد الأقصى" بمبادرة من الحاج أمين الحسيني[38] رئيس المجلس الإسلامي الأعلى – وهو مناضل بارز – وانتشرت هذه الجمعية في كل أنحاء فلسطين، وأسست فروعًا لها، وعقدت المؤتمرات .

وفي الوقت الذي تَشدّد فيه الصهيانة بشأن حائط المبْكَى[39] رَدّ العرب على ذلك الرد الذي رأوه ملائمًا، فخرجت يوم الجمعة 1929/8/16م مظاهرة توجهت إلى حائط البراق، وأزالت الآثار التي وضعها الصهاينة فيه، فتوتر الجو؛ ولذلك عَمَد خطباء المساجد يوم 1929/8/23 إلى تهدئة المصلين، فما كان من بعض المصلين في حرم المسجد الأقصى إلا أن صعدوا المنبر "ودعوا الجمع إلى عدم الاهتمام بما قاله الخطباء، لأنهم غير مخلصين لقضية المسلمين[40].

وخرج الجمع المحتشد في المسجد حوالي الساعة 12.30، وبدأت الاشتباكات، وراحت الجماهير في القدس، ثم في يافا والخليل وصَفَد تُسَوِّي حساباتها مع الصهيونيين، وفعلت ما لم تفعله من قبل؛ إذ صَفَّت المستوطنة الصهيونية في الخليل، وألحقت أضرارًا كبيرة بالمستوطنين والمستوطنات[41].

3.6 نجاح المخططات الصهيونية واحتلال فلسطين سنة 1948:

انتصر الحلفاء في نهاية الحرب العالمية الثانية، وانتصرت معهم الحركة الصهيونية، أما دول المحور فقد هزمت، وهزمت معها المراهنة الشعبية العربية عليها، ومنها المراهنة الفلسطينية، وقد كانت الحكومات العربية في صف الحلفاء.

وحين انتهت الحرب أعلنت بريطانيا في 1946/1/29م أنها ستُبقي باب الهجرة مفتوحًا بعد انتهاء المدة التي حددها الكتاب الأبيض سنة 1939م، وأن لجنة بريطانية – أمريكية ستتولى التحقيق في الأمر، وقد وافقت اللجنة العربية العليا على التعاون مع اللجنة الأنجلو-أمريكية. وصدر قرار اللجنة الأنجلو-أمريكية في 1946/4/20م؛ لينص على إدخال مائة ألف مهاجر صهيوني جديد، ورفع الحظر عن انتقال الأراضي، وبقاء الانتداب حتى يكون ممكنًا قيام دولة في فلسطين.

وقد قاد هذا القرار إلى مظاهرات وإضرابات في الوطن العربي، وإلى تداعي الملوك والرؤساء العرب لاجتماع في أنشاص يومي 28 و1946/5/29م، وأعلن الملوك والرؤساء العرب أن قضية فلسطين "قضية العرب جميعًا، وأن فلسطين عربية يتحتم على دول العرب وشعوبها صيانة عروبتها"، وأضاف الملوك والرؤساء أن "لهم عظيم الأمل ألا يعكر صفو علائق المودة القائمة بين الدول والشعوب العربية من جهة، والدولتين الديمقراطيتين الصديقتين من جهة أخرى؛ أي تشبث من جانبهما يرمي إلى إقرار تدابير ماسة بحقوق عرب فلسطين، حرصًا على دوام هذه الصداقة، وتفاديًا لرد فعل ينشأ بسبب ذلك، ويفضي إلى اضطرابات قد يكون لها أسوأ الأثر في السلام العام[42].

كانت فلسطين خلال الحرب العالمية الثانية دون قيادة، وانتهت الحرب وفي فلسطين تعيش فراغا قياديا، وظل الأمر كذلك حتى عاد الحاج أمين الحسيني من المَنْفَى وأكمل تشكيل الهيئة العربية العليا، وأخذ نشاط الهيئة العربية العليا منذ أواخر 1946م يتزايد، وكان من ذلك أن أنشأت مكتبًا لها بالقاهرة ومكاتب في فلسطين، وأخذت تضع النُظم الخاصة بسير عملها، وعالجت قضية فلسطين على عدة مستويات:

– على المستوى الدولي: قررت هيئة الأمم المتحدة تشكيل لجنة تحقيق لم تشارك فيها الدول الكبرى، وقد وصلت هذه اللجنة فلسطين يوم 1947/6/17م، وقررت الهيئة العربية مقاطعتها، وطالبت الشعب بالإضراب يوم وصولها.

– على المستوى العربي: وقد اتخذ مجلس الجامعة في اجتماعاته (17–1947/3/29) أن تقدم دول الجامعة المساعدات المالية للهيئة العربية، وكان مثل هذا القرار قد اتخذ في اجتماعات سابقة (8–1946/6/12)، ورغم ذلك فإن ما تسلمته الهيئة العربية العليا في يونيو 1948م لم يتجاوز 143 ألف جنيه دفعت سوريا منها 103 آلاف، وعاد مجلس الجامعة فقرر في اجتماعاته التي عقدت في لبنان (17–1947/10/25م) ما يلي:

* أن تحشد الدول العربية قطاعات من جيوشها على حدود فلسطين.
* أن تقدم الدول العربية السلاح إلى عرب فلسطين الذين يقطنون في المناطق المتاخمة لليهود، وأن تخصص لذلك عشرة آلاف بندقية مع ذخائرها
* تدريب الشباب في المناطق غير المتاخمة للحدود وتعبئتهم للمعركة المقبلة، وقد أنشئت لجنة عسكرية لتحقيق ذلك اتخذت دمشق مقرًّا لها، واختارت العميد الهاشمي مسؤولاً عن شؤون التدريب والتعبئة.

وكانت الهيئة العربية العليا مع هذه القرارات؛ لأنها تمكنها من تولي القيادة في فلسطين، ومن الحصول على المساعدات اللازمة.

*على المستوى الفلسطيني: فقد أخذت القيادة الفلسطينية تُعِدُّ للمواجهة، ولم تكن قد أعدت شيئًا منذ 1940م، كما أنها لم تكن مؤهلة لإعداد بنية سياسية وعسكرية، ولذلك فعندما أعلن قرار التقسيم وَهَبَّ الشعب لمقاومته، لم يكن لدى الشعب شيء من مقومات الاستعداد، فلا تنظيم كتنظيم القَسَّام، ولا مؤسسات سياسية وعسكرية، ولم تكن الأحزاب قد تحولت إلى أحزاب حقيقية، وكانت الهيئة العربية العليا حديثة التكوين، في الوقت الذي كان فيه العدو الصهيوني على أتم استعداد، وعلى المستوى العربي كان الوضع الرسمي أيضًا غير مشجع،

فما كان من الشعب إلا أن لجأ إلى تشكيل لجان قومية، وأخذت هذه اللجان تجمع الأموال وتشتري الأسلحة بكميات محدودة.

ثم حلّت هزيمة 1948م[43] التي كانت حدثا مُخزيا بالنسبة للأمة العربية والاسلامية، مثّلت انقلابًا عظيمًا في حياة الشعب الفلسطيني، ذلك أنه لم يحقق أهدافه في التحرر والاستقلال وشُرِّدَ معظمه من أرضه، وخضع باقيه في الأرض المحتلة لاحتلال شرس جديد، أما الضفة الغربية وغزة، فقد أصبحتا جزءاً من الأردن ومصر سياسيًّا وإداريًّا، وكانت محاولات التكيف مع الوضع الجديد الشغل الشاغل لكل الفلسطينيين، وأصبح المشهد الفلسطيني كالآتي:

الأول – يخضع للحكم الصهيوني من الجليل إلى النقب، وكانت كثافة هؤلاء كبيرة في الجليل والنقب، وضعيفة في يافا واللد والرملة والقدس المحتلة.

الثاني – يتبع الحكم الأردني في الضفة الغربية، وقد أعلنت الوحدة بين الضفتين سنة 1950م وأخذ مواطنو الضفة الجنسية الأردنية، ولكن الضفة كانت تعج بلاجئي 1948م، وقامت من جراء ذلك مخيمات عديدة لا يزال معظمها قائمًا حتى الآن.

الثالث – يرتبط بنظام الحكم المصري في منطقة غزة التي تكدس فيها جمهور كبير من اللاجئين.

الرابع – يخضع لأنظمة الحكم القائمة في الأقطار التي هاجر إليها، وخاصة في سوريا ولبنان، حيث تجمع عدد كبير من اللاجئين، ومن الشمال والساحل خاصة، وكانت الهزيمة قد أيقظت الرأي العام العربي، فبدأت الانقلابات والنشاطات السياسية المختلفة الاتجاهات، فوجد الفلسطينيون أنفسهم – رغم ظروفهم الجديدة – جزءاً من النشاط السياسي العام على مختلف اتجاهاته، ففي هذا الوضع الجديد ظل هم مقاومة الصهيونية قائمًا، ولكن أشكاله اختلفت وتعددت، ومن ثم تطورت في كل الاتجاهات[44].

وقّعَت الدول العربية اتفاقات الهدنة سنة 1949م[45]، وَحُلَّت قوات الجهاد المقدس، وراحت حكومة عموم فلسطين والهيئة العربية العليا تصدران البيانات، وتجريان الاتصالات، وفي هذا الوقت اتخذت المقاومة الفلسطينية ثلاثة أشكال:

الأول – الاستمرار في المقاومة للدفاع عن الأرض والهوية، ولتكوين أُطر مقاومة سياسية في الأرض المحتلة الخاضعة للعدو الصهيوني، وهنا كان الدفاع عن الأرض والهوية في رأس الأولويات، واتخذ أشكالاً سياسية وثقافية أساسًا، وكان إنشاء حركة الأرض جزءاً من هذه المقاومة.

الثاني– اتجاه المقاتلين الذين ظلوا يقاتلون دون قيادة، وكان يلتقي مع هؤلاء رجال يقومون بالتردد على قراهم ومدنهم لاستعادة ما خبؤوه أو خبأه غيرهم، أو للسطو على مستوطنات العدو، وكان هؤلاء يقومون بعمليات عسكرية.

الثالث – اتجاه مقاومة الإمبريالية، والأنظمة العربية التابعة التي التقت فيه الحركة القومية كلها والأحزاب الشيوعية والقوى الوطنية عامة، وكان هذا الاتجاه يرى أن مقاومة الإمبريالية عامة وإسقاط الأنظمة المرتبطة بها؛ هو الطريق لتحرير فلسطين.

نتيجة:

لم تكن هذه المرحلة مرحلة مقاومة مسلحة أساسًا، وكان الذين عملوا في المقاومة المسلحة من بقايا المقاتلين السابقين الذين جنّدوا مقاتلين جددًا، وكانوا يعملون بدافع الاستمرار أو نتيجة النقمة على وضعهم الجديد، ولم تكن تُوَحِّدُهم قيادة أو برنامج سياسي، وكان بعضهم على استعداد للعمل مع القوات العربية المعادية للصهيونية في سبيل الحصول على السلاح.

وفي مرحلة لاحقة غلب الحوار والنشاط التنظيمي والسياسي ولم تحتل المقاومة المسلحة موقعًا بارزًا، رغم أنّ الدعوة للمقاومة المسلحة وإحباط مخطط التصفية والانتقال من الكلام إلى العمل؛ هي اللغة الغالبة في الأدب السياسي لهذه المرحلة.

8. أبرز التطورات بعد مرحلة تأسيس الكيان الصهيوني:

غلب عليها المواجهات العسكرية المباشرة، وشكّلت تجربة مهمة لدى العرب على فترات زمنية، رغم الهزائم والعثرات، إلا أنها وبيّنت مدى ارتباط العرب والمسلمين بأرض فلسطين والانخراط للدفاع عنها رغم الظروف المحيطة بهم.

1.8 الحروب العربية – الصهيونية (1967، 1973، 1982):

وقد حوَّلت هذه الحروب الصراع إلى صراع عربي – صهيوني سواءً من حيث الجيوش المشاركة، أم ميادين القتال، وكان من نتيجة هذه الحروب الثلاثة أن احتُلَّت سيناء والجولان والضفة الغربية سنة 1967م، وجنوب لبنان سنة 1982م، وتحول الثقل الأساسي للمفاوضات إلى بحث العلاقات الصهيونية – العربية، وقاد ذلك إلى اتفاقية كامب ديفيد سنة 1979م، ومفاوضات مدريد سنة 1991م، واتفاق واشنطن واتفاقية السلام الأردنية – الصهيونية سنة 1994م.

2.8 قيام "م.ت.ف"[46] :

والمقاومة الفلسطينية داخل الأرض المحتلة وخارجها، والمعارك التي خاضها الشعب الفلسطيني على كل الأصعدة السياسية والعسكرية ، وكان من أهم ما أنتجته هذه المرحلة على الصعيد العربي عامة – والفلسطيني خاصة – اتجاه التسوية السلمية مع العدو الصهيوني.

وحدوث تطورات دولية كبيرة: من انهيار الاتحاد السوفييتي والدول الاشتراكية في أوروبا الشرقية، إلى حرب الخليج[47] (1990-1991)، ومن تفرد حكومة الولايات المتحدة الأمريكية بالقيادة الدولية، إلى انفجار الصراعات الإثنية والطائفية والاجتماعية في بلدان العالم الثالث.

وتعتبر هذه المرحلة أغنى المراحل في مقاومة العدو الصهيوني، سواء كان ذلك عبر الدور العربي في الصراع العربي – الصهيوني، أم عبر المقاومة الفلسطينية.

وتبدأ هذه المرحلة بحدثين بارزين: أولهما: إعلان قيام "م.ت.ف" سنة 1964م، وثانيهما: إعلان حركة التحرير الوطني الفلسطيني "فتح"[48] بدء المقاومة المسلحة مع مطلع عام 1965م.

أما إعلان "فتح" بيانها الأول، فقد لقي صدى أعمق في أوساط المثقفين عامة والمسيسين خاصة، وفي أوساط الشعب العادي؛ لأن الشعب يؤمن أن طريق المقاومة المسلحة هو طريق فلسطين، وزاد من هذه القناعة أن الأنظمة التقليدية سقطت في مصر وسوريا والعراق، وهي الأقطار العربية الأساسية، ورغم ذلك فإن المواطنين لم يروا جديدًا على صعيد فلسطين، فلا

الوحدة تحققت لتكون طريق التحرير، ووحدة مصر وسوريا سنة 1958م انقسمت سنة 1961م، والخلافات في الحركة القومية وبين القوميين والشيوعيين محتدمة، ثم إن الجزائر تحررت بالحرب الشعبية.. وكان هذا كله يدفع باتجاه تحرير فلسطين إلى المقاومة المسلحة[49].

وبَدَا منذ 1965م حتى 1970م أنّ المقاومة المسلحة هي محور كل النشاطات، ولكن الأمور بدت تتكشف بعد 1970م على أنّ هناك برنامج اتصالات سياسية يستهدف الحل السياسي، وأن هذا الخط تم الاتفاق عليه قبل أن يُبْعَد أحمد الشقيري من رئاسة المنظمة ليعهد بها إلى ياسر عرفات[50].

ومنذ نهاية 1970م وحتى أوائل 1973م؛ بدأت أطروحات التسوية السياسية – التي كانت محرمة سابقًا – تطفو على السطح وتتغلغل في أجهزة المنظمة والفصائل، وما لبثت أحاديث التسوية أن انطلقت في مشروع الحل المرحلي الذي طرحته الجبهة الديمقراطية بحماية قيادة عرفات[51].

ومنذ اجتماع المجلس الوطني الثاني عشر في صيف 1974م صار حديث التسوية رسميًّا، وبدأ التغلغل الواسع لأطروحات التسوية ورجالها في بنية المنظمة وبعض الفصائل، وما لبث اتجاه التسوية أن أصبح الاتجاه الرئيسي في القيادة سنة 1977-1978، وعبر معارك خاضها رئيس المنظمة استخدم في بعضها السلاح، وجاء الخروج من لبنان سنة 1982م؛ ليكرس دور قيادة المنظمة في عملية التسوية التي أدت إلى أوسلو سنة 1993م.

وكانت المقاومة المسلحة تتضاءل ما بين 1982-1987، بينما كان العمل الدبلوماسي يتحول إلى العمل الرئيسي، وأهملت كل أشكال العمل السياسي والشعبي والنقابي.

وفي هذا الوقت الذي كان فيه خط التنازل يغطي على كل ما عداه، ودوائر المنظمة وأجهزة وبنى الفصائل تترهل؛ برزت ظاهرتان جديدتان: الأولى انفجار الانتفاضة في 1987/12/8م، واندفاع العمل الشعبي في الداخل إلى المقدمة؛ ليجدد شباب المقاومة وكل فعالياتها. الثانية: انتقال حركة المقاومة الإسلامية حماس من التعبئة إلى العمل.

وقد سارعت قيادة المنظمة وقيادات الفصائل إلى إحكام الطوق حول الانتفاضة، وإخضاعها لبرنامج المنظمة الرسمية شيئًا فشيئًا، أما حركة المقاومة الإسلامية فإنها ما تزال مستمرة في عملها السياسي والعسكري؛ لتصبح فصيل المقاومة المسلحة الأول، وليصبح دور الفصائل المؤسسة والمشاركة في قيادة ''م.ت.ف'' ثانويًّا جدًّا، ولتبرز إلى جانب ''حماس''؛ حركة الجهاد الإسلامي.

9.خاتمة:

بعد هذه الدراسة نخلص الى النتائج الآتية:

-تعدد المشاريع الصهيونية وتنوعها من أجل السيطرة على أرض فلسطين، وإقامة الكيان الصهيوني وطرد السكان الأصليين

-الدعم الذي لقيه اليهود من طرف الدول الغربية وخاصة بريطانيا، حيث ظهر ذلك جليا في تنظيم رحلات الهجرة المتتالية إلى فلسطين والسكوت عن موجات الهجرة الغير المنظمة.

-استغلال الصهاينة للظروف الإقليمية والدولية السائدة في تلك المرحلة، خاصة الظرف الذي كانت تمرّ به الدولة العثمانية، والتشتت العربي وضعف المناصرين.

وبعد بروز المقاومة الفلسطينية للاحتلال الصهيوني ومشاريعه على أرض فلسطين تباينت أدوارها وتفاوتت قوتها و نجاعتها في مواجهة هذا المدّ الصهيوني الظالم، و قد تحكمت في المقاومة الفلسطينية مجموعة من العوامل أهمها:

أولاً – قيادات غير مؤهلة سياسيًّا وعسكريًّا لرسم سياسات وبناء جيوش وإعداد خطط سياسية وعسكرية، وكما عجزت قيادات المنظمة، كذلك عجزت قيادات الفصائل، بغض النظر عن الوطنية والشجاعة لدى بعضها والفروق في الكفاية النسبية بين شخص وآخر.

ثانيًا – أوضاع عربية كانت تقدم المال والمدد البشري والأسلحة من جهة، ولكنها في الوقت ذاته كانت تفرض التنافر العربي والشقاق العربي والعجز العربي، وكان خضوع معظم الأنظمة العربية للسياسات الأجنبية يفرض على وضع القضية الفلسطينية ظروفًا قاسية.

ثالثًا – اتجاه كل القيادات الفلسطينية السائدة والمؤثرة إلى الحلول السياسية دون بناء القوى السياسية والعسكرية الكافية، حتى لفرض حلول سياسية، ورغم تبني قيادة عرفات اتجاه التحرير (1965-1970)، فإنها ما لبثت أن تحولت إلى الاتجاه الآخر علنًا منذ 1971م.

رابعًا – انخفاض مستوى المشاركة الشعبية الفلسطينية في الجهود السياسية والعسكرية قياسًا لما تتطلبه المعركة، وانخفاض مستوى مشاركة الجماهير العربية.

10. الاحالات و الهوامش:

[1] – انعقد المؤتمر الصهيوني الأول في المدينة السويسرية بين التاسع والعشرين والحادي والثلاثين من شهر آب 1897، وأشرف على تنظيمه ورئاسته المفكر والكاتب اليهودي المجري تيودور هرتزل الذي يُعدُ أبو الصهيونية العالمية، وحمل المؤتمر شعار "العودة إلى صهيون"، انظر : مُحَّد كعوش: "مؤتمر بازل 1897.. بداية مشروع الدولة الصهيونية" ، الرابط:

https://www.raialyoum.com/ تاريخ النشر: 29 اوت 2016، .

[2] – الانتداب: هو نظام أقامته عصبة الأمم ينص على أن الغرض من تطبيقه هو مساعدة الأقاليم التي لم تبلغ بعد الدرجة التي تمكنها من الاستقلال بنفسها، ويجمع المؤرخون على أن الانتداب اتخذ ستاراً لرغبة دول الحلفاء في السيطرة على البلاد التي كانت واقعة تحت السيطرة العثمانية. وقد تم تطبيقه على أرض فلسطين، انظر: https://www.alkawthartv.ir/episode/117100 ، تاريخ الاطلاع: 26نوفمبر 2021م، الساعة 11:15.

[3] – ماهر أحمد آغا، **اليهود فتنة التاريخ**، دار الفكر دمشق، 2002م، ص 234.

[4] – مركز المعلومات الفلسطيني: الهجرة اليهودية الى فلسطين، انظر الرابط:

http://info.wafa.ps/ar_page.aspx?id=4071، تاريخ الاطلاع: 4اكتوبر2019، الساعة 11:55.

[5] – السفارديم: هم اليهود الذين ينحدرون من الشرق، من مواليد آسيا وافريقيا.

[6] – الاشكناز: هم اليهود الذين ينحدرون من الغرب، من مواليد أوروبا وأمريكا.

[7] – مُحَّد غالب بركات: **قلق الموت في ظلّ الإرهاب الصهيوني**، دار الآفاق العربية، ط1، القاهرة، 2011م، ص 81.

[8] – غرشون شقير: "الأرض والعمل والسكان في الاستيطان اليهودي"، تر، مُحَّد غنايم، **الكرمل**، ع 58، 1999، ص 138.

[9] – نبيل محمود السهلي : " الهجرة اليهودية في خدمة الاستيطان الصهيوني" **مجلة شؤون سياسية** ، ع11، 2011م، ص 08.

[10] –الموسوعة الفلسطينية: https://www.palestinapedia.net/الهجرة–الصهيونية–إلى–فلسطين/.

[11] – مُحَّد السيد غلاب: "تطور سكان فلسطين بين عامي 1965/1918م"، **مجلة معهد البحوث العربية**، القاهرة، ع4، السنة 1973م، ص 328.

[12] – المصدر: الهجرات اليهودية المنظمة -1478/ https://www.madarcenter.org/ موسوعة–المصطلحات.

[13] –انظر: بداية الاستيطان الصهيوني في فلسطين، https://info.wafa.ps/ar_page.aspx?id=4070 ،

[14] – أنيس صايغ: الهاشميون وقضية فلسطين، منشورات جريدة المحرر والمكتبة المصرية، 1966م، ص 45.

[15] – نفسه: ص 46.

[16] – كان نجيب موظفًا في القدس (1898 – 1904)، ولكنه استقال لأن المتصرف المعين "رشيد بك" لم ينفذ قوانين الباب العالي المتعلقة بالهجرة.

[17] – ماكس نوردو (1849–1923): مفكر يهودي ألماني وزعيم صهيوني سياسي، اسمه الأصلي سيمون ماكسيميليان سودفيلد، وقد غيَّر اسمه إلى ماكس نوردو أي ماكس النوردي. وُلد في المجر حيث تلقَّى دروساً في اللغة العبرية، وفي عام 1875، بدأ دراسة الطب في جامعة بودابست ثم في باريس، كان متأثراً في تفكيره بكل من نيتشه وفاجنر وزولا وإبسن، وبما نسميه «الرؤية المعرفية العلمانية الإمبريالية»، وقد دعا إلى حل مشاكل أوربا الاجتماعية بالعنف وعن طريق تصدير فائضها البشري إلى الشرق (وذلك قبل تبنّيه العقيدة الصهيونية).

[18] – أسعد رزوق: إسرائيل الكبرى، **دراسة في الفكر التوسعي الصهيوني**، مركز الأبحاث في منظمة التحرير الفلسطينية، بيروت، لبنان، 1968م، ص 150.

[19] - انظر مركز المعلومات الوطني الفلسطيني https://info.wafa.ps/ar_page.aspx?id=4128hk!v

[20] – أسعد زروق: المرجع نفسه ، ص ص149–150.

21 – خيرية قاسمية: المقاومة العربية الفلسطينية أواخر العهد العثماني، **مجلة دراسات تاريخية**، جامعة دمشق، العدد ص55. ومُحَمَّد صالح المراكشي: تفكير مُحَمَّد رشيد رضا من خلال **مجلة المنار** 1898 – 1935، المؤسسة الوطنية للكتاب – الجزائر 1985، ص187.

22 – ناجي علوش: مرجع سابق، ص 106.

23 – نفسه : ص 106.

24 – نجيب نصار: الكرمل، ع 346، يوم 1913/07/04م.

25 – ناجي علوش: مرجع سابق، ص 104.

26 – الحزب العربي الفلسطيني: https://info.wafa.ps/ar_page.aspx?id=3524

27 – انظر: عدنان عامر: حزب الاستقلال العربي في فلسطين النشأة التاريخية والممارسة السياسية 1932-1933

28 – Neville Mandel: Turks, Arabs and Jewish ,immigration into Palestine (1882 – 1914) P.P 102 – 103.

29 – خيرية قاسمية : مرجع سابق، ص 58.

30 – ناجي علوش: مرجع سابق، ص ص 96-97

31 – نفسه: ص 96.

32 – خيرية قاسمية : مرجع سابق، ص 57.

33 – وعد بلفور: أصدره وزير الخارجية البريطاني اللورد آرثر جيمس بلفور في تشرين الثاني/نوفمبر عام 1917.

34 – حاييم ويزمان: إضافة إلى انتمائه إلى التشكيلة السياسية كان وايزمان عضوا في التشكيلة العلمية للمنظمة الصهيونية، وكان يعمل أستاذ كيمياء في مخبر البحرية البريطانية بعد أن درّس هذه المادة في جامعة مانشستر عدّة سنين.

35 – حسين التركي: هذه فلسطين، ص 72.

36 – المرجع نفسه: ص 84.

37 – ناجي علوش: مرجع سابق، ص ص 96-97

38 – أمين الحسيني: ولد عام 1895 في مدينة القدس، أشهر من تولى منصب الإفتاء في فلسطين، وكان في الوقت نفسه رئيس المجلس الإسلامي الأعلى. لعب دورا مهما في الصراع العربي الإسرائيلي خاصة في

سنواته الأولى، وقضى شطرا من حياته مهاجرا في العديد من العواصم العربية والغربية، حتى توفي في لبنان ودفن فيها. انظر: مادة شخصيات:

https://www.aljazeera.net/encyclopedia/icons تاريخ النشر 2010/12/9م. تاريخ الاطلاع: 2021/11/26 الساعة: 11:45.

[39] – حائط المبكى: في الحقيقة هو حائط البراق، الذي يقع في الجزء الجنوبي من السور الغربي للمسجد الأقصى، أمام حي المغاربة الإسلامي الذي هدمته السلطات الصهيونية وطردت سكانه قسرا، و هو جزء لا يتجزأ من المسجد الأقصى"، وتسمية حائط المبكى من مغالطات اليهود والصهاينة، انظر: مادة : "حائط البراق وقف إسلامي خالص وما يسمى حائط المبكى أكذوبة صهيونية" على الرابط: https://arabic.rt.com/middle_east/1236690- ، تاريخ النشر : تاريخ النشر 29 ماي 2021م، تاريخ الاطلاع: 25 نوفمبر 2021م، على الساعة: 16:15

[40] – ناجي علوش: مرجع سابق، ص 152.

[41] – نفسه: ص 153.

[42] – عبد الوهاب كيالي، **الموجز في تاريخ فلسطين الحديث**، 1971م، ص196.

[43] – حرب 1948م: أول حروب العرب مع إسرائيل، دارت عقب إنهاء الانتداب البريطاني على فلسطين وإعلان قيام إسرائيل، منتصف ماي 1948، وأودت بحياة آلاف الجنود من الطرفين، وانتهت بهزيمة العرب، فأطلقوا عليها حرب "النكبة".

انظر: مادة حرب 1948،على موقع الجزيرة، تاريخ النشر 2015/5/14م، الاطلاع :2021/11/26، الساعة: 12:07.

[44] – انظر ناجي علوش: الرابط : https://archive.islamonline.net/?p=10512

[45] – هدنة 1949م: بعد حرب 1948، وقّعت الدول العربية المتحاربة مع إسرائيل ما عدا العراق، على اتفاقيات هدنة مع إسرائيل حيث وقعت كل دولة على الاتفاق بشكل منفصل.

وبدأت مفاوضات في جزيرة رودس اليونانية بتوسط الأمم المتحدة بين إسرائيل من جانب وكل من الاردن ومصر وسوريا ولبنان من جانب آخر. تم التوقيع على اتفاقيات الهدنة الأربع بين 24 فبراير و20 يوليو 1949، وفيها تم تحديد الخط الأخضر. المصدر: جريدة الدستور الأردنية، مادة: "ذكرى توقيع هدنة فلسطين في عام 1949 اليوم"، تاريخ النشر: 24فيفري 2014م.

[46] – منظمة التحرير الفلسطينية: أُنشئت المنظمة بقرار رسمي عربي في الجامعة العربية سنة 1963م، وذلك نتيجة تزايد الشعور العربي بضرورة إبراز عمل فلسطيني سياسي، وتزايد شعور الفلسطينيين بأن عليهم أن يلعبوا دورًا أكبر، إن لم يكن الدور الأول في الدفاع عن قضيتهم.

[47] – حرب الخليج : "حرب الخليج الثانية" حرب خاضها تحالف دولي بقيادة أميركا إثر غزو النظام العراقي –بزعامة الرئيس الراحل صدام حسين– للكويت 1990 بعد اتهامه لها بسرقة نفطه والتآمر ضده. دامت الحرب أربعين يوما، وأدت إلى إخراج القوات العراقية من الكويت، وتدمير القدرات العراقية العسكرية والاقتصادية، وفرض حصار قاسٍ على البلاد سبّب مأساة إنسانية كبيرة دامت سنوات، المصدر: "حرب الخليج الثانية.. الزلزال الذي عصف بمنطقة الخليج" منشور على موقع : https://www.aljazeera.net/encyclopedia/military، تاريخ النشر : 2016/11/7، تاريخ الاطلاع: 2021/11/26، الساعة 12:00

[48] – لعبت أدوارا مهمة في القضية الفلسطينية منذ الإعلان عن تكوينها عام 1964 حتى الآن، كما خضعت للعديد من التغيرات الفكرية والهيكلية وظلت على مدى هذه السنوات الطوال رقما مهما في منظومة الأحزاب والجماعات والمنظمات الفلسطينية الهادفة إلى التحرير والساعية إلى تحقيق حلم إقامة الدولة.

[49] – المصدر: https://archive.islamonline.net/?p=10512 / تاريخ الاطلاع 03/ماي 2018/ الساعة 09:07

[50] – ناجي علوش: مرجع سابق.

[51] – فؤاد طهوب: **حتمية الحرب وسرابية السلام**، المؤسسة العربية 1979، ص78.